مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040، ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 01 السنة: 2018 الصفحة: 369–387

الاستخدام الأخلاقي لشبكات التواصل الاجتماعي في ضوء معاني الحكم العطائية

Ethical use of Social networks through " Hikam Ebn Atta Allah Al- sakandari" meanings .

د . احسن خشة
جامعة 08 ماي 45 قالمة
khaahcene@yahoo.fr

تاريخ النشر : 2018/06/10

الملخص:

يتمحور هذا المقال حول ضوابط استخدام شبكات التواصل الاجتماعي، باعتماد معاني الحكم العطائية كمعيار للضبط والتوجيه، ضمن سياق رؤية قيمية للمسألة الأخلاقية التي تربط الممارسة بالتربية الروحية، في وقت يتم المبالغة في التركيز فيه على الجوانب النفسية والسلوكية.

الكلمات المفتاحية: الحكمة، الحكم العطائية، الأخلاق، الاستخدام الأخلاقي، شبكات التواصل الاجتماعي.

Abstract:

This article focus on the regulations of scocial networks usage. Through Attaya wisdom meanings, as a reference of guidance and regulations.

The ethical issue point of reference used in this context, make a relationship between the spiritual improvement and practice, instead of making a lot of concentration on emotional and behavioral aspects.

Keywords: wisdom, ethics, ethical usage, social networks

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040، ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 01 السنة: 2018 الصفحة: 369–387

تمهيد:

تعددت الأبحاث والدراسات التي تناولت استخدامات والتأثيرات والإشباعات شبكات التواصل الاجتماعي، ولكن الملاحظ أن معظمها ركز على "ما هو كائن" فيما يرتبط بعادات وأنماط الاستخدام وتأثيراته المختلفة، ومن النادر أن نعثر على توجيهات تربوية وأخلاقية في كيفية التعامل مع هذا الواقع الافتراضي، بما يتيح الاستفادة من ايجابيته وتلافي الوقوع في سلبياته، وهو ما يمكن إدراجه في "ما يجب أن يكون" من حيث الزمن المناسب للاستخدام في كل مرحلة عمرية مثلا، ومنهجية الاستخدام، وموقع الاستخدام ضمن سلم أولويات الفرد ونحو ذلك.

نهدف من خلال هذه الورقة إلى قراءة وتقييم "استغراقنا" في هذا العالم الافتراضي في ضوء توجيهات الحكم العطائية، والتي تتضمن في جانب منها إرشادات أخلاقية وسلوكية يمكن الاستفادة منها في تنبيه المتلقي إلى ضوابط استخدام شبكات التواصل الاجتماعي. وذلك من خلال انتقاء مجموعة من هذه الحكم التي يمكن إسقاطها على استخداماتنا لشبكات التواصل الاجتماعي والتي أخذت حيزا زمنيا معتبرا من أوقاتنا، في الوقت الذي تتباين فيه طرائق الاستفادة من هذه الأوقات، وتتعدد التأثيرات المحتملة لهذا الاستخدام سواء على المستوى الفردي أو المستوى الجماعي.

يبدو أن هناك معلومات قليلة حول الطريقة المثلى في التعامل مع هذا الواقع الافتراضي؟ (ما يجب أن يكون) ويمكن في هذا السياق أن نطرح تساؤلات منها:

ما هو الحجم الزمني المناسب للاستخدام ؟

هل يمكن أن يكون الحجم الزمني (المعتدل) للاستخدام متماثلا عند كل الناس وفي جميع المراحل العمرية؟

هل للبيئة الاجتماعية التي يعيش فيه الفرد أثر على اختلاف طريقة وحجم الاستخدام؟

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040، ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 01 السنة: 2018 الصفحة: 369–387

هل يجب أن تكون أجندة الفرد في التعامل مع هذا الواقع الافتراضي منفصلة عن أجندة استخداماته لباقي الوسائل الإعلامية الأخرى؟ وهل يجب أن تكون منفصلة عن أجندته في الحياة بشكل عام؟

ما هي المعايير التي يمكن الاحتكام إليها في التعامل مع هذا الواقع الافتراضي؟

هل هذه المعايير جاهزة ، أم تحتاج إلى جهد بشري في صياغتها، ومن ثم اعتمادها في التعامل مع هذا الواقع الافتراضي. كل هذه التساؤلات تدفع باتجاه البحث عن السبل والمنهجيات والمعايير العلمية والأخلاقية في الارتفاع بمستوى الاستفادة من هذا الواقع الافتراضي وتلافي السلبيات المحتملة ما أمكن. وهذا يقودنا إلى البحث في أحد مصدرين أساسيين: أولا: القيم نفسها (أو بالأحرى الفهم البشري لهذه القيم) ومصدرها ديني أساسا، وثانيا التجربة الإنسانية (الفطرة الإنسانية أو الطبيعة البشرية) وهي التي يتوقع أن تجسد هذه القيم في تطبيقاتها السلوكية. وآثرت في هذه الورقة المصدر الأول وهو المصدر القيمي بما يتضمنه من فهم بشري يروم الاقتراب من المعاني التي قد تحتملها القيم، وهو الذي تتمحور حوله الحكم العطائية التي اتخذناها معيارا يقاس من خلاله واقع استخدام شبكات التواصل الاجتماعي.

أولا: حول الاستخدام الأخلاقي:

الأخلاق هي شكل من أشكال الوعي الإنساني يقوم على ضبط وتنظيم سلوك الإنسان في كافة مجالات الحياة الاجتماعية[1]

يرى الدكتور عزي أن القيمة ذات المرجعية الدينية هي المنبع في تأسيس الأخلاقيات[1]

[1]– هند عبيدين، الأخلاق تواصل وتوازن في المجتمع الإنساني، مجلة المعارج، العدد 115، 2009، ص 74

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040، ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 01 السنة: 2018 الصفحة: 369–387

وهناك من يفرق بين مصطلح "الأخلاق" و"الأخلاقيات" بحيث أن الأولى ذات طابع إنساني، والثانية تختص بمجتمع معين، بالإضافة إلى كون الأولى مصدرها الدين بشكل رئيسي، والثانية تستند إلى مصادر أخرى كالقوانين والأنظمة إلى جانب الدين.

لكل قطاع من القطاعات الإنسانية المختلفة الداخلية والخارجية أخلاق، للفكر أخلاق، وللاعتقاد أخلاق، وللقلب أخلاق، وللنفس أخلاق، وللسلوك الظاهر أخلاق.[2]

يستند القرار الأخلاقي الإسلامي إلى مرجعية الوحي، وترتبط ارتباطا وثيقا بأسماء الله الحسنى، وفي هذا الإطار يجتهد كل فرد في التمثل بهذا الصفات ما أمكنه ذلك، وما يدعم ذلك أن تعبير "الأخلاقيات" في اللغة العربية له ثلاث اشتقاقات متماسكة[3]:

1– الخالق سبحانه وتعالى (في ذاته أو صفاته "الأسماء الحسنى")

2– الخلق (بفتح الخاء) أي المخلوقات ومنها الإنسان المكرم المفضل، "ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا"

3– الخلق (بضم الخاء)، أي القيم التي تحكم الخلق (بفتح الخاء) بوصفها، بلغة النورسي، تجليات أسماء الخالق الحسنى.

يمكن أن يحظى الفرد بنصيب من تجليات أسماء الله الحسنى في الكون، مثل اتصافه بالصدق، والعدل، والأمانة، والحكمة، والرحمة، والعفو، وغير ذلك من الأسماء والصفات.

---

[1]– عبد الرحمن عزي، حفريات في الفكر الإعلامي القيمي، تونس، الدار المتوسطية للنشر، 2011، ص66

[2]– عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دمشق، دار القلم، ص 55

[3]– عبد الرحمن عزي، المرجع السابق، ص 40

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040، ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 01 السنة: 2018 الصفحة: 369–387

وهو يتمثل بها بدافع ذاتي فيه حرص شديد على صفاء القصد لله والانقياد لتوجيهاته ونواهيه، وليس رغبة في تحقيق محمدة عند الآخرين، أو من باب التصنع وإشباع حاجات نفسية في تحقيق العلو والمكانة عند الناس.

يقصد بالاستخدام الأخلاقي في سياق هذه الورقة البحثية الالتزام بالضوابط الأخلاقية المستوحاة من فهم النصوص الدينية وتجسيدها في التطبيقات السلوكية المرتبطة باستخدام وسائل الإعلام عامة وشبكات التواصل الاجتماعي منها على وجه الخصوص.

ثانيا: شبكات التواصل الاجتماعي:

"كل آلات البشر أصبحت شاشات، ونحن البشر أيضا أصبحنا شاشات، وتفاعل البشر هو تفاعل الشاشات. لا يمكن فهم ما يظهر على الشاشة بعمق، بل ما يظهر على الشاشة يتم اكتشافه لحظيا، وسرعان ما يتحرك بسرعة ليحل محله اكتشاف آخر، وما يتبقى هو ومضات فهمية للصور المتتابعة والنصوص المتعاقبة التي لا يمكن أن تؤسس معنى ثابتا "(محمد حسام الدين إسماعيل ، 2008، ص 101)

نظرا للانتشار المتسارع لاستخدامات شبكات التواصل الاجتماعي في وطننا العربي بشكل عام، وفي الجزائر على وجه الخصوص، وزيادة الدور الذي صارت تلعبه المواقع الاجتماعية مثل (الفيس بوك Facebook ، اليوتب YouTube، التيوتر Twitter، الماي سبيس My space، الفليكر Flickr ..الخ

يحتل استخدام شبكات التواصل الاجتماعي جزءا معتبرا من أوقات الأفراد، وتتعدد أهداف هذا الاستخدام من شخص لآخر، وربما اعتبر لدى البعض نوعا من مسايرة ما يسمونه "الحداثة" ومتابعة للمستحدثات الجديدة والوسائط المتجددة التي تبدو في ظاهرها تيسيرا لمصالح الأفراد، ولكنها في باطنها قد تستغل من جهات متعددة يهمها في ماذا يفكر الأفراد وكيف يقضون أوقاتهم، وما الذي يثير إعجابهم وما الذي يتسبب في استيائهم ونحو ذلك.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040، ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 01 السنة: 2018 الصفحة: 369–387

إن استخدام وسائل الإعلام عامة وشبكات التواصل الاجتماعي على وجه التحديد، تترتب عنه العديد من الانعكاسات منها على سبيل المثال[1]

[1]–إن كثرة التعلق بالزمن الإعلامي عادة ما يكون على حساب الزمن القيمي بحكم أن الزمن الإعلامي يستقطع أجزاء معتبرة من الأزمنة الأخرى.

[2]–إن كثرة الارتباط بالزمن الإعلامي ينمي النزعة الفردية لدى الفرد.

[3]–إن سوء استخدام الزمن الإعلامي (المضمون) يؤدي إلى إضعاف الحساسية والاستحياء تجاه الممنوعات الثقافية.

ثالثا: في معنى الحكمة:

الحكمة هي ضبط السلوك وتوجيهه وفق مقتضى العقل السليم والدين القويم[2].

ففي الحكمة عنصران[3]:

الأول: عنصر الضبط الذي فيه المنع عن الانطلاق والكف عن الانحراف.

الثاني: عنصر التوجيه الذي فيه تحديد الاتجاه، والدفع إلى السعي نحوه.

الحكمة قد تحتاج إلى قدر جيد من الذكاء لمعرفة وجه الحق، ولكن كثيرا ما يوجد الذكاء ولا توجد الحكمة.

وفقا لما سبق فان الحكمة هي الإطار الذي يحكم السلوك ويوجهه، والمقصود به في ها السياق أيضا هو تلك العبارات الموجزة التي تتضمن اضاءات للسلوك الإعلامي القويم الذي يرتفع بالأداء ويضفي عليه الموضوعية ويتحقق به القبول الاجتماعي.

[1]– عبد الرحمن عزي، الإعلام وتفكك البنيات القيمية في المنطقة العربية، تونس، الدار المتوسطية للنشر، 2009، ص ص 34–37

[2]– عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، المرجع السابق، ص 17

[3]– المرجع السابق، ص 18

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040، ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 01 السنة: 2018 الصفحة: 369–387

وتأسيسا على التعريفات السالفة الذكر يمكن تعريف الحكمة الإعلامية على النحو التالي: هي ضبط السلوك الإعلامي وتوجيهه استنادا إلى مقتضيات القيمة وما ترمي إليه من إضاءة للفكر وتقويم للسلوك تتحقق بها معاني الحق والخير والجمال، سواء تعلقت بالفرد أم بالجماعة.

وتتحدد من خلال هذا التعريف الأبعاد الأساسية التالية:

أ–الأساس القيمي الذي تبنى عليه الحكمة الإعلامية.

ب–مجال استعمالها ويشمل الفكر والسلوك.

ج–تحقيق معاني الحق والخير والجمال فرديا وجماعيا.

رابعا: الحكم العطائية

تنطوي الحكم العطائية التي تنسب الى ابن عطاء الله السكندري[1] على أهمية كبيرة من حيث المحتوى وارتباطه بالإطار القيمي، لا سيما وأن معانيها مستوحاة من القران الكريم، أو أننا نجد ما يدعمها من الآيات الواردة في القران الكريم. بالإضافة إلى دقة صياغتها وإيجازها، وتعدد الكتابات التي تصدت إلى شرحها وتحليلها، على الرغم من أنها كتبت في فترة زمنية سابقة طويلة، وهو الأمر الذي أكسبها صيتا كبيرا تدعم بالحضور الجماهيري لمن يقوم بتوضيحها وشرحها، كما تعرض بعض وسائل الإعلام المرئية علماء يقومون بشرح معانيها.

ونظرا لارتباطها بالأخلاق والسلوك، فإنها تتضمن ما يمكن اعتباره كموجهات ومعايير يقاس من خلالها مدى اقتراب أو ابتعاد التطبيقات السلوكية عن القيم الدينية.

[1]– هو الإمام الملقب بتاج الدين، أحمد بن محمد بن عبد الكريم.. ابن عطاء الله السكندري المالكي، المتوفى عام 709 من الهجرة، وقد بدأ فتفقه ودرس التفسير والحديث واللغة والأدب على شيوخ له في مصر.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040، ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 01 السنة: 2018 الصفحة: 369–387

وجدت في الحكم العطائية الكثير من العبر والمعاني التي يمكن الاستفادة منها في ضبط علاقاتنا بوسائل الإعلام عامة وبشبكات التواصل الاجتماعي على وجه التحديد. اختيارها بناء على عدة اعتبارات :

1- أنها تتمحور حول القيم وكيف يمكن تنزيلها على واقع الممارسة والسلوك بشكل عام، والممارسة المرتبطة بالإعلام على وجه الخصوص.

2- أنها في حد ذاتها ذات قيمة بدليل صمودها إلى فترة زمنية طويلة وتعدد الكتابات والشروحات حولها.

3- ونظرا لارتباطها بالأخلاق والسلوك، فإنها تتضمن ما يمكن اعتباره كموجهات ومعايير يقاس من خلالها مدى اقتراب أو ابتعاد التطبيقات السلوكية عن القيم.

خامسا: الارتباط "بالزمن الإعلامي" الرمزي في ضوء الحكمة العطائية:

"الزمن فراغ لا وجود له، أو بتعبير آخر: بعد لا مضمون له إلا الأحداث والتصرفات التي تنجزها. ولذلك يعرفون الزمن بأنه البعد الرابع لشيء ما، وهو البعد الحركي الذي يتكون من الحركة التي تنشأ عنها الوظائف والتصرفات"[1]

هذا يعني أن استخدام شبكات التواصل الاجتماعي يفترض أن يكون هادفا ومرتبطا بتحقيق نفع ما أو مصلحة محددة.

وفي مجال إدارة الوقت يقسم "ستفن كوفي"[2] الوقت إلى أربع مربعات:

1- أنشطة هامة عاجلة: مثل الأزمات الطارئة سواء على مستوى العائلة أو المؤسسة

[1] – البوطي، المجلد الرابع، ص 12

[2] – ستفن كوفي (1932–2012)، كاتب ومؤلف أمريكي، تحصل على شهادة الماجستير في إدارة الأعمال من جامعة هارفارد، ودكتوراه في لتعليم الديني من جامعة "بيرجهام يانج" ـــ عمل مديرا لمؤسسة فرانكلين كوفي. من مؤلفاته: العادات السبع للناس الأكثر فعالية.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040، ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 01 السنة: 2018 الصفحة: 369–387

2– أنشطة هامة وليست عاجلة: مثل التخطيط للمستقبل وتوقع الأزمات ومعالجتها قبل وقوعها

3– أنشطة عاجلة وليست هامة: بعض المكالمات الهاتفية الطارئة، بعض الاجتماعات، أنشطة شعبية.

4– أنشطة غير عاجلة وغير هامة : مثل بعض المكالمات الهاتفية

إحصائيا، إذا كان معدل استخدام الفرد لشبكات التواصل الاجتماعي ثلاث ساعات يوميا فانه خلال عقد من الزمن يكون قد استهلك 10950 أي حوالي 46 يوما خلال سنة، و460 يوما خلال عقد من الزمن، بمعنى عام وثلاثة أشهر. وبالقياس فانه خلال عقدين يكون قد استهلك عامين ونصف من عمره في هذا العالم الافتراضي.

ولقد افترض العلماء في الغرب أن متوسط عمر الإنسان هو 62 سنة، فأجروا دراسة على الأماكن التي يقضي فيها الإنسان عمره فوجدوا أن توزيع الوقت في حياته كلها في المتوسط العام للبشر كالتالي[1]:

الوقت	الوصف
5 سنوات و303 يوما	أمام التلفزيون
180 يوما	للحديث في الهاتف
سنتان	في الكلام أو الإنصات لحديث الناس
250 يوما	في القراءة
3 أيام	في النظر في ساعة اليد
8 أيام	ليقول للذين يقابلهم في طريقه: صباح الخير

[1]– المرجع السابق، ص 66

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040، ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 01 السنة: 2018 الصفحة: 369–387

ومن المؤكد أن تصفح شبكات التواصل الاجتماعي يستهلك وقتا من حياة الفرد، يتفاوت من شخص إلى آخر، كما تتعدد مقاصد الاستخدام كذلك من فرد لآخر. ويمكن أن نميز بين ثلاثة أنواع من الاستخدام:

الاستخدام العشوائي: لا يضبطه وقت محدد، وليس هناك هدف واضح للاستخدام، كما يمكن اعتباره نوع من الترفيه أو تمضية الوقت أو الهروب من واجبات أخرى مثلا، أو تلبية لحاجات نفسية واجتماعية.

الاستخدام الاضطراري: قد يرتبط بأوقات معينة، وقد تكون مقتضيات المهنة تفرضه، أو إمكانية استخدامه في التواصل مع أفراد الأسرة أو الأصدقاء لسهولته وقلة تكلفته.

الاستخدام الواعي: وهو الذي يؤدى لتحقيق مقصد محدد في مجال بحثي مثلا، ويترتب عليه تحصيل معرفة أو خبرة في ميدان ما.

تقول الحكمة العطائية: "ما فات من عمرك لا عوض له، وما حصل لك منه لا قيمة له"[1]

وفي شرح هذه الشطر الأول لهذه الحكمة يقول محمد سعيد رمضان البوطي– يرحمه الله–: إن كل ساعة من عمرك مهيأة بحكمة الله وتقديره لأن توظفها في نيل بعض ما تبتغيه من احتياجاتك الكثيرة، فان أنت أهدرت تلك الساعة و لم تملأها بأي عمل مما أنت بحاجة إليه، ضاعت من عمرك إلى غير بديل[2]

[1]– وفي نفس المعنى: 3 حقوق في الأوقات يمكن قضاؤها، وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها، إذ ما من وقت يرد إلا ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد، فكيف تقضي فيه حق غيره، وأنت لم تقض حق الله فيه؟"

[2]– محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية، شرح وتحليل، ح ! ، دمشق، دار الفكر، 2015، ص 12

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040، ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 01 السنة: 2018 الصفحة: 369–387

ويضيف في شرح الشطر الثاني لهذه الحكمة: ما حصل لك منه لا قيمة له أي ما استطعت استغلاله من ساعات عمرك والاستفادة منه للنهوض بوظائفك، لا يقدر بثمن، بل الأثمان كلها تقف دون قيمته[1].

إن التوجيه الذي تتضمنه الحكمة السابقة يتمثل في نية الاستخدام أو مقاصد الاستخدام (استخدام مصطلح النية قد يكون أكثر ارتباطا بالجانب الروحي، بينما مصطلحات الحاجات والدوافع لها صلة بالجانب النفسي)

وأيا كان نوع الاستخدام لشبكات التواصل الاجتماعي، فان ضبط ومراجعة المقاصد الأساسية أو النهائية لهذا الاستخدام ضروري، فمثلا إذا كان الاستخدام بغرض الترفيه، يكون التساؤل هل الترفيه من أجل الترفيه في حد ذاته، أم الترفيه بغرض الترويح عن النفس واستجلاب القوة أو الطاقة للقيام بعمل آخر.

إذا كان الاستخدام اضطراريا أو واعيا، فما هي الأهداف الحقيقية من ورائه، هل هو الجري وراء مصلحة مادية، أو الحصول على مركز اجتماعي مثلا، ونحو ذلك.

إن مساءلة المقاصد الحقيقية للاستخدام سواء كان في جانبه الجاد والنافع، أو في جانب التسلية والترفيه، يبدو أكثر من ضروري في ضوء المعاني التي تتضمنها الحكمة السابقة، خاصة إذا علمنا أن الاستغراق في هذا الفضاء الالكتروني يبلغ أحيانا مستويات قياسية.

إن الضبط الذي تشير إليه الحكمة السابقة يحيلنا إلى أخلاقيات الاستخدام أو ضوابط الاستخدام وهنا نجد من الضروري أن لا يقع المستخدم في واحدة من هذه الممنوعات :

1– انتساب استخدام شبكات التواصل الاجتماعي إلى دائرة الأنشطة غير العاجلة وغير الهامة (بتعبير ستفن كوفي)، بمعنى أن الفرد يفتقد في الغالب إلى هدف واضح أو

[1]– المرجع السابق، ص 14

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040، ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 01 السنة: 2018 الصفحة: 369–387

تخطيط مسبق لهذا الاستخدام على الرغم من أنه يأخذ صبغة الاستمرارية وربما الانتظام في أوقات محددة. وهنا قد ينتقل من موضوع إلى آخر ومن صفحة إلى أخرى ومن شخص إلى شخص دون أن يكون هناك ضبط للوقت، مما يجعل الإبحار في هذا العالم الافتراضي يعتبر "نشاط غير منتهي" أو تسلية غير منتهية، أو مناقشات غير منتهية ونحو ذلك.

2–الاستغلال السلبي لهذا الفضاء الالكتروني: وبالتالي **"ما فات من عمره لا عوض له"**

أن الاستثمار الايجابي لهذا الفضاء الافتراضي يترتب عنه ايجابيات أخرى، والتقصير في استغلال هذا الوقت أو التعامل السلبي معه يترتب عنه سلبيات أخرى مثل تعطيل الكثير من الأولويات الأخرى.

3–التسويف [1]: **"احالتك الأعمال على وجود الفراغ، من رعونات النفس"**

أي "تأجيلك الأعمال الصالحة، إلى انتظارك الفراغ من أشغال الدنيا تعد من رعونات النفس، أي حماقاتها، ولأن أشغال الدنيا لا تنقضي، فما قضى أحد منها حاجته"

سادسا: الارتباط السوسيولوجي" الافتراضي" في ضوء الحكمة العطائية:

هناك من يصنف ضمن شبكات التواصل الاجتماعي على أنه "شخصية عامة" وله كذا عدد من المعجبين، ولا ريب أن هذا "الإعجاب" مرده إلى الانطباع الذي ترسخ عند الناس حول هذه الشخصية أو تلك، وما يصدر منها أو عنها من إبداع أو نشاط وكذا ما يقال عنه في وسائل الإعلام المختلفة، وبالتالي قد يعتبر بشكل من الأشكال قدوة لغيره.

وعند المتلقين فان إعجابهم يمكن قراءته من عدة أوجه:

[1] – Procrastination is the thief of time

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040، ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 01 السنة: 2018 الصفحة: 369–387

النمذجة والتقليد: ومحاكاة هذه "الشخصيات العامة" في أقوالهم وأعمالهم، وهنا نتوقع انسياق الكثيرين نحو "نماذج" أو "قدوات" في مجالات ليست ذات أولوية. وفي استقراء الواقع نجد أمثلة عديدة لمن كل أمنيته هو الوصول إلى ما وصل إليه ذلك المطرب أو اللاعب ونحو ذلك. (التعلم بالمشاهدة)

التبعية: خاصة عندما يحصر الفرد بين ثنائية " أحب أو لا أحب" في الوقت الذي يحتمل وجود جوانب ايجابية وأخرى سلبية، وبالتالي لا ينبغي أن يقيد الرأي حول شخص أو فكرة ما في هذه الثنائية، لأنه يحتمل أن يكون "الإعجاب" بجوانب دون أخرى، والعكس أيضا صحيح، وهنا يكون الانتقاء بين ما هو جيد وما هو أقل جودة أو ما هو سيء وهكذا يقول ابن عطاء الله السكندري الناس يمدحونك لما يظنونه فيك، فكنت أنت ذاما لنفسك لما تعلمه منها[1]

بمعنى أن "الناس يرون فيك مظهر النهوض إلى الخدمات الإنسانية المبرورة والأنشطة الاجتماعية المفيدة، ولكنهم لا يطلعون على ما انطوت عليه نفسك من الضغائن والأحقاد ومشاعر الاستكبار على الآخرين، والتعلق بزينة الدنيا وزخارفها"[2]

إن التوجيه الذي يحتمل أن تتضمنه الحكمة السابقة ، يكمن في انه إذا كان المدح موجها للشخص ذاته نظرا لمكانته في الوسط الذي يعرف فيه أو يؤثر على الآخرين ضمنه، بسبب قدرات معرفية تتوفر عنده أو شهرة مكتسبة تحصل عليه لمهارة في مجال ما، فان الأمر يتطلب أن يرتفع هو إلى مستوى المدح إن وجد مستواه اقل من حجم الإطراء الموجه إليه. وان كان حقا ما يقال في حقه فلا مناص من تجنب الغرور لئلا يكون للنفس حظوظا في ما يسمعه أو يراه.

[1]– "قوم تسبق أنوارهم أذكارهم، وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم"

[2]– البوطي، المجلد الثالث، ص 155

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040، ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 01 السنة: 2018 الصفحة: 369–387

ولعل الفكرة الجوهرية التي تقف خلف هذه الحكمة هو تحلي رجل الإعلام بالتجرد الذي يجعله لا يتطلع إلى الشهرة والنجومية، بل إن سعيه بإخلاص وتفاني لأداء رسالة وتبليغ فكرة ونشر حقائق هو دائرة تركيزه الأساسية. وفي هذه المعاني يقول محمد الغزالي–يرحمه الله–: "فاحذر على نفسك أمرين: أن تترع إلى البروز قبل استكمال المؤهلات المطلوبة، وأن تستكمل هذه المؤهلات لتلفت بها أنظار الناس إليك"

وقد تطرح في هذا السياق أن اقتحام المجال التطبيقي يعد ضرورة من ضرورات التدريب، فان ذلك يعتبر صحيحا، ولكن ينبغي التأكيد على أن اقتحام المجال العام قبل اكتمال المؤهلات ينبغي أن لا يكون مقصودا لذاته، بل بغرض التكوين، بمعنى أن لا تكون هناك حضوضا للنفس قد تصرف رجل الإعلام عن تطوير مهاراته وتدعيمها.

التزكية التربوية: كما قد يؤدي هذا المدح "المبالغ فيه" إلى أن يهمل الفرد مهمة تزكية سلوكه، أو ربما خيل إليه أنه أفضل من الآخرين أو أرفع منهم شأنا، وهذا فحوى الحكمة العطائية التي تشير إلى أنه "ربما كنت مسيئا فأراك الإحسان منك صحبتك إلا من هو أسوأ حالا منك. بمعنى أنه قد يكون الفرد في وضعية غير مقبولة أخلاقيا وسلوكيا، لكنه عندما يقارن نفسه بالآخرين فانه قد يعتبر نفسه أفضل حالا منهم، وهو في وضع سيء، وبالقياس إلى علمه واستعداداته يمكنه تحصيل مراتب أرفع بكثير مما قد يصدر عنه من بعض السلوكيات الايجابية المحدودة.

إن الضبط الذي قد تشير إليه الحكمة السابقة يكمن في ما يلي:

عدم الاستعجال في الظهور في السياق العام : إن استعجال البروز على شبكات التواصل الاجتماعي وغيرها من وسائل الإعلام قد ينطوي على مغامرة غير محمودة العواقب، يتناغم هذا التوجيه مع حكمة ابن عطاء الله السكندري: "ادفن وجودك في أرض الخمول، فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه"[1]، وفي شرح هذه الحكمة العطائية

[1]– المرجع السابق ، ص 8

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040، ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 01 السنة: 2018 الصفحة: 369–387

يقول محمد الغزالي: "هذه الكلمة أفضل توجيه لمن يريدون الظهور على عجل، ومن يتوهمون أن نصيبا قليلا من المعرفة والخبرة كاف في الترشيح لقيادة الجماهير، والصدارة بين الناس، وهؤلاء في الحياة لا حصر لهم. إن منصب الإمامة في آفاق الدنيا أو في آفاق الدين يتطلب صبر السنين، وتغضين الجبين. فليصنع المرء نفسه أولا في عزلة وفي صمت وفي تؤدة، كالشجرة التي يختفي أصلها في ظلمة التراب أمدا، تتكون فيه التكون الصحيح، ثم تبدأ تشق طريقها إلى الهواء والضوء." محمد الغزالي

ولا يستعجل رجل الإعلام الظهور في الفضاءات العامة قبل نضج خبراته ومهاراته الإعلامية، لأن الأضواء قد تغريه وقد تصرفه عن صقل مواهبه وقدراته مما قد يتسبب في تعطيل نضج تكوينه الإعلامي.

سابعا: الارتباط السيكولوجي" الافتراضي" في ضوء الحكمة العطائية:

ما أحببت شيئا إلا كنت له عبدا: "ذلك لأن وقوع الإنسان في أسر الحب لشيء أو لكائن ما، يكسوه رداء المهانة والذل لذلك الشيء، وعندئذ تلازمه صبغة المهانة في كل الأحوال وأمام كل من يعلم منه هذا التعلق والأسر"[1]

تتعدد الصور التي يحاول من خلالها المتفاعل مع شبكات التواصل الاجتماعي الحصول على انطباع ايجابي من طرف الآخرين أو بمعنى آخر الوصول إلى محبتهم:

وصغ صورة لشخصية ما تتميز بجاذبية مظهرية أو فكرية ونحو ذلك، مما يعطي انطباع أو يحاول أن يمزج بين الصورة التي يتمظهر بها وشخصه، وكأنه يقول: إذا أردت أن تعرفني فانظر إلى هذه الصورة فهي تشبهني

إن التوجيه الذي قد تتضمنه الحكمة السالف بيانها يتمثل في الإجابة على تساؤل مؤداه:

[1]– البوطي، المجلد الرابع، ص 20

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040، ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 01 السنة: 2018 الصفحة: 369–387

هل أن استخدام هذا الفضاء الالكتروني تتحقق من خلاله منفعة محددة تنسجم مع قدرات الفرد المستخدم، ولا تؤثر على الأجندة الحياة ولا تتسبب في تحريف اتجاه بوصلتها: والمقصود به هو صرف الاهتمامات عن القضايا الأساسية التي يفترض بهم الاهتمام بها، وتحديد أجندة أخرى من إنشاء "المخيال الاجتماعي الالكتروني"، فينساق الفرد إلى أولويات أخرى، لذلك لا نستغرب أن تتركز الاهتمامات حول الجوانب المظهرية مثل تسريحات الشعر، وأخبار الفنانين، والمصارعين، وآخر البومات الغناء، ونحو ذلك.

يكمن الضبط الذي قد تشير إليه الحكمة السابقة في أن لا يتسبب هذا الاستخدام لشبكات التواصل الاجتماعي في احد العناصر الآتية :

1– التعلق بالوسيلة: وتتعدد مؤشرات الارتباط بالوسيلة من خلال المبالغة في استخدامها والتنقل بها ودوام النظر إليها، والحرص على تحيين معلوماتها، والحسرة على فقدانها، والضجر من انقطاع الربط الشبكي بها، والاستئناس بها أكثر من الاندماج بمن حوله، والرغبة في تجديدها متى سنحت الفرصة ومهما بلغ ثمنها، واعتمادها حاجزا يحول بينه وبين الآخرين، ونحو ذلك من الدلائل الواضحة من خلال يوميات الناس مع هذه الوسيلة.

قد يتطور التعلق بالوسيلة إلى حد الإدمان، إذا زاد الحجم الزمني عن القدر المطلوب الإدمان على الانترنت **Internet Addiction Disorder** : وهو من الأمراض النفسية التي يتعرض لها الأطفال خاصة في هذا السن المبكرة، ومن بين أعراض هذا المرض: –تخصيص وقت كبير للإبحار في الشبكة العنكبوتية –الشعور بالإحباط في حالة عدم الاستخدام. وهو ما يدل على شدة تعلق الفرد بهذه الشبكات، أو ارتباطه الشديد بمن يتواصل معهم على هذه الشبكات الاجتماعية.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040، ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 01 السنة: 2018 الصفحة: 369–387

2– التعلق بمن في فضاء الوسيلة: يبقى واردا ويتخذ أشكالا متعددة تتجاوز الاعتبارات الثقافية، وقد تعرف تطورات يصعب التنبؤ بمالاتها وتداعياتها المختلفة إن على مستوى الفرد نفسه أو الجماعة ككل.

قد يعمد الفرد المتفاعل مع هذه الشبكات الاجتماعية إلى تكوين صداقات افتراضية ، قد يكون مع أشخاص لم يسبق له رؤيتهم واللقاء بهم فعليا، وما يميز هذه "الصداقات" الافتراضية: أنها واسعة عدديا، مما يجعل نوعية الروابط أحيانا ضعيفة وتتميز بالتغير المستمر، وقد تكون في حالات أخرى وثيقة وعلى حساب بعض العلاقات الاجتماعية الفعلية.

إن الاستغراق في هذا الواقع افتراضي الوهمي يجعل الأفراد يحسون باغترابهم عن الواقع الاجتماعي الحقيقي، ويستبدلونه بواقع رمزي لا يمت بصلة للواقع الحقيقي، ولعل من افرازات هذا الانغماس المفرد في العالم الالكتروني هو إضعاف القدرات على التفاعل الاجتماعي الفعلي، مما ينذر بتداعيات أخرى على بنية النسيج الاجتماعي مستقبلا.

لا يستبعد أن يكون من بين التأثيرات المحتملة هو تكوين روابط عاطفية بين المتفاعلين في هذه الشبكات، وربما انتقلت بعض هذه الروابط الافتراضية إلى روابط فعلية مع ما يحتمله ذلك من تباين في طبيعة السمات الثقافية وازدياد الهوة بين السمات الفعلية والسمات الافتراضية.

كما يحتمل أيضا أن تؤثر هذه العلاقات الافتراضية على العلاقات الاجتماعية الفعلية، مما يؤدي إلى تفكك اسري أو انحرافات أخلاقية.

3– النفاق الاجتماعي وانفصام الشخصية : يحرص البعض على شبكات التواصل الاجتماعي على تقمص شخصيات أخرى تتبدى في صور ذات جاذبية خاصة، وهو أمر قد يجعلهم يحسدون ذلك في واقعهم الاجتماعي، وهنا يحدث التناقض بين الذات الحقيقية وبين الصورة التي يتطلع الطفل إلى إيصالها للآخرين.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040، ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 01 السنة: 2018 الصفحة: 369–387

وهنا أيضا قد نجد أن الأفراد قد يعجزون عن تكوين صداقات في واقعهم الاجتماعي، بفعل تعودهم على التفاعل الاجتماعي الالكتروني المفرط.

4– انتهاك الحق في الخصوصية: وفي هذا الفضاء الالكتروني تنتهك الكثير مما هو مصنف ضمن دوائر الخصوصية الشخصية للأفراد، ويمكن لمعلومات متعددة عن الأفراد أنفسهم أن تكون محل تداول على نطاق واسع بين الناس ضمن هذا الفضاء وقد يمتد الأمر إلى تشويه سمعة بعض "القدوات" في المدرسة باعتبارها من مؤسسات التنشئة الاجتماعية، وقد أصبح أمرا اعتياديا أن نسمع عن "فضائح" متداولة بين الأطفال عن بعض الممارسات والتي لا نعرف مدى مصداقيتها.

خاتمة:

يمكن القول أن شبكات التواصل الاجتماعي وسيلة تتحقق بها غايات مختلفة ، إذا استخدمت فيما يفيد أفادت، وان أسيء استخدامها أساءت، فلا يسوغ أن نصدر حكما صارما يجنح إلى المنع التام أو التساهل التام، لأنه لا سلطان لأحد منا على فعل ذلك، فانتشار الانترنت في كل مكان يجعل الرقابة اللصيقة أمرا صعب تحقيقه.

وتبرز أهمية معالجة هذه الظاهرة في كونها لها ارتباط وثيق بشخصية الفرد الذي ينتظر منه القيام بأدوار اجتماعية تساهم في تنمية المجتمع وازدهاره، ولا يتأتى ذلك إلا إذا ارتبط فكرا وسلوكا بمنظومة قيمية متكاملة، يشكل الدين أساسا لها.

ولعل مما يجدر التنبيه إليه أن هناك تأثيرات كثيرة لهذه الشبكات الاجتماعية الافتراضية على قيم الأطفال خصوصا، خاصة وأنهم يعتبرون من وجهة نظر سيكولوجية فئة ذات خصوصية تبعا لسمات عاطفية وانفعالية، تجعلهم عرضة للتأثيرات التي يمكن أن تترتب عن استخدامهم غير الواعي لهذه الوسائل الاتصالية التكنولوجية.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040، ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 01 السنة: 2018 الصفحة: 369–387

إذا تأملنا في واقعنا نجد أن مثالب استخدام هذه الوسيلة لا تخطئها العين، وتنـــذر بتداعيات خطيرة في مستقبل الأيام، وهذا يتطلب جهدا مضاعفا منا في تحقيق الاستفادة من هذا الفضاء الاجتماعي الالكتروني وتلافي السلبيات المترتبة عنها.

من الضروري الاستفادة من المنهجيات والآليات التي توصل إليها الفكر البشري فيما يرتبط بعلاقة الفرد بوسائل الإعلام. إن توظيف بعض أطروحات "نظرية الأجندة" يبدو مفيدا في هذا الإطار، وهنا يمكن الحديث عن جانبين أساسيين هما "أولويات القيم لدى المستخدم" أو الجمهور بالمقارنة مع ما يمكن تسميته "أولويات محتـــوى شـــبكات التواصل الاجتماعي"، ويتفرع عن هذه العلاقة العديد من القضايا مثل:

1–هل هناك توافق بين أولويات القيم لدى المستخدم مـــع أولويـــات محتـــوى شبكات التواصل الاجتماعي؟

2–هل الزمن المختار للاستخدام لا يتعارض مع الأجندة الحياتية للفرد؟

لا بد من التأكيد في ختام هذه الورقة أنه من الصعوبة بمكان الحديث عما يجـــب أن يكون فيما يتعلق بعلاقاتنا بوسائل الإعلام عامة وبالأنترنت وتطبيقاها بشكل خاص، خاصة وأن هناك حكمة عطائية تقول العبارات قوت لعائلة المستمعين، وليس لك إلا ما أنت له آكل

وهذا يجعل المسؤولية الأخلاقية أكبر، ولذلك فان ما سبق الإشارة إليه لا يعدو أن يكون حديثا موجها للذات بالدرجة الأولى ولكنه بصوت مرتفع، فرب ناقل للعلـــم إلى من هو أعلم منه، وربما موجه للنصيحة وهو أحوج من غيره إليها .